المشرق

هياكل مصر القديمة

من خطبة للاب الكسيس مالون اليسوعي مدرّس اللغة القبطية في مكتبنا الشرقيّ

انَّ بين الآثار القديمة التي أورثت مصرَ فخرًا وشهرة هياكلها العظيمة التي صبرت على آفات الدهر ونالت المقام الاوّل بين بقايا الاعصار الغابرة من حيث عددها وقدم تاريخها وحكم بنائها. ومن هذه الابنية ما يرتقي عهدهُ الى مَهْد الازمنة التاريخيَّة ومنها ما شُيِّد في أيام البطالسة او هو احدث عهدًا لا يتجاوز طور الدولة الرومانية. الَّا انَّ اكثرها قد بُني في أيام كبار الفراعنة كرعمسيس وتحوتمس

اما من حيث موقعها الجغرافيّ فانَّ هذه الهياكل لا تُرى اليوم الَّا ما وراء القاهرة اعني في بلاد الصعيد. وهي كثيرة في الاقصر وثيبة القديمة ذات المئة بابٍ التي وصفها الشاعر اوميروس. على انَّ خلوّ مصر السُّفلى من هذه الآثار ليس بدليل على أنها كانت خلوًا منها سابقًا. والاحرى ان يقال ان كل مدينة من حواضر وادي النيل كانت مزدانة بهيكل. واصاب بعض هذه الهياكل سمعةٌ بعيدة كهيكل الالهة نَيْط في صاء الذي قضى هيرودوت المؤرخ منهُ العجب. واشهر منهُ هيكل عين شمس المعروفة في الكتاب الكريم باسم اون وفي القبطيَّة ⲏⲟⲩ (راجع سفر التكوين ٤١: ٤٤) حيث كانت مدرسةٌ لكهنة المصريين وفيها نشأ موسى الكليم على آداب مصر. ولمَّا جعل فرعون يوسفَ الحسن كوزيره والثاني من بعده في الملك اعطاهُ ابنة عظيم

كهنة عين شمس المذكورة. واليوم لم يبقَ من هـذه المدينة ومن هياكلها الا اطلال ورديم تنتصب في وسطها مسلّةٌ شهيرة تشهد على عظمتها السابقة. ولنا في كتاب عبد اللطيف المعنون بالافادة والاعتبار في الامور المشاهدة في مصر ما يبيّن صريحاً انّ آثار عين شمس لم تدرس بعدُ في زمانه قال:

« ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يُشاهد سورها محدقاً بها بهدوءٍ ويظهر من امرها انها كانت بيت عبادة. وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلثين ذراعاً واعضاؤه على تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هـذه الاصنام قائماً على قواعد وبعضها قاعداً بنُصُبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم. وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلّما ترى حجراً خالياً من كتابة او نقش او صورة. وفي هذه المدينة المسلّتان المشهورتان ونسّيان مسلّتَيْ فرعون. . . وقد رأيتُ احدى المسلّتين وقد خرّت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل. . . »

وكلّ ما وصفهُ عبد اللطيف قد دخل في خبر كان الاّ المسلّة التي ذكرناها وكذا قلّ عن هياكل وادي النيل التي كان يعرفها العرب بالبرابي. وسبب فقدانها قرب موقعها من النيل فانّ فيضان مياهه لم يزل يعمل في اساسها حتّى سقطت وتفتّتت على كرّ الدهور

امّا برابي الصعيد فانها قد أُقيمت على أحكام صخريّة لا يبلغ اليها النهر وقت فيضانه وإيّاها نزيد هنا. فنصفها وصفاً موجزاً متّبعين في ذلك سياقها التاريخي:

١ هياكل الدول المصريّة الاولى (من ٤٠٠٠ الى ٢٢٠٠ ق م)

بقي لنا من ذاك العهد العهيد مثال جميل في الهيكل الصوّاني المشيّد في جوار اهرام الجيزة. وهو من اقدم آثار مصر اكتشفهُ لاوّل مرّة العلاّمة الاثريّ مارييت باشا سنة ١٨٥٣ واستخرجهُ من تحت الرمال التي كانت تستجنّه. ولا تزال حتى اليوم جوانبهُ الخارجيّة غائصةً تحت الردوم ولم ينظّف منهُ الاّ داخلهُ. وهو عبارة عن ردهة كبرى ذات ثلاثة اسواق يفصلها صفّان من السواري المربّعة الزوايا. وامام الردهة المذكورة ردهة أخرى اوسع منها واقصر تقسم قسمين بينهما صفٌّ من ستّ سواري وهذا البناء يأخذ بالابصار لعظم سواريه وكلُّ سارية من حجر واحد وعلوُّها

خمسة امتار. وليس ثمة لا كتابات ولا نقوش ولا تصاوير وانما اراد البناة ان يظهروا فقط عظمة الاعمال البشرية في الهندسة

وفي صحن الهيكل بئر عميق وُجدت فيه عدة تماثيل للفرعون خفرن صاحب الهرم الثاني

اما الاله الذي على اسمه كان هذا الهيكل فالمرجح انهُ السفنكس (Sphinx) المعروف في مصر بابي الهول. والدليل على ذلك انَّ تمثال ابي الهول ينتصب ليس بعيدًا من هناك. وهو عبارة عن اسد عظيم ينتهي برأس بشري قد نُحت في الصخر الاصم. وطالما تكوَّمت فوقهُ الرمال حتى لم يبرز منهُ الا رأسهُ. وهكذا وجدهُ عبد اللطيف قال:

« وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميه الناس ابا الهول ويزعمون انَّ جثتهُ بالنسبة الى رأسه سبعين ذراعًا فصاعدًا. . . »

والصحيح انَّ جثة ابي الهول على صورة أسد رابض طولهُ ٦٣ مترًا اما علوهُ فيبلغ ١٩ م و ٨٠ س. وكان على عهد عبد اللطيف « حسن الصورة مقبولها عليه مسحةُ بهاء وجمال » وهو اليوم مشوَّهٌ قد افسد صورتهُ المماليك وكانوا اتَّخذوا أنفهُ كهدف لسهامهم

ومن هياكل الدول المصرية الاولى هياكل منف الشهيرة التي أطنب في وصفها الرحَّالون واسترسل في ذكرها عبد اللطيف البغداديّ. الاَّ انهُ لم يبقَ من كلّ تلك الآثار سوى صنمين عظيمين لرعمسيس الثاني مضطجعين على الحضيض وبقربهما قطع كبيرة من الحجر الصوَّاني تطفو فوقها كلّ سنة مياهُ النيل في عهد فيضه. واذا جزرت المياه رأيت هناك بقايا هيكل قديم وصفهُ عبد اللطيف فيما وصف. وهو البناء الذي درسهُ العلامة ج. دارسي (G. Daressy) درسًا مدقَّقًا واثبت نتائج ابحاثهِ في نشرة العاديات المصرية منذ سنتين. وكان هيكلًا مربَّعًا مستطيلًا امامهُ مدخلٌ فخيم يعلوهُ برج مربَّع. وفيه الردهات الواسعة المزيَّنة بالسواري والعَمَد ذات حجر واحد جافٍ. اما رسم البناء فلم يُعرَف منهُ الاَّ قسمٌ فقط

٣ً هياكل المملكة المصرية المستجدة ودولة البطالسة (١٦٠٠ ق.م)

انَّ هياكل المملكة المصرية المعروفة بالوسطى (Moyen Empire) من السنة

٢٢٠٠ ق.م الى ١٦٠٠ قد طُمست ودثرت فلم يبق منها غير خربها. فاما ما كان منها في وادي النيل فقد غمرتهُ مياه النهر. واما هياكل الصعيد فانها هُدمت ليُقام مكانها غيرها

فلنذكرنَّ اذن الهياكل التي بنيت في ايام المملكة المستجدَّة اعني منذ السلالة الثامنة عشرة التي سبقت المسيح بستَّة عشر جيلًا الى عهد الدولة الرومانيَّة. وهذه الهياكل كلُّها في الصعيد العليا واقربها الى القاهرة هيكل ايدوس بازاء بلينة على ٥٥٥ كيلومترًا من القاهرة. ولبعد هذه الآثار لم يزرها عبد اللطيف وانما ذكرها فقط بالاجمال

« واما البرابي بالصعيد فالحكايات عن عظمها واتقان صنعتها واحكام صورها وعجائب ما فيها من الاشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع احكام البناء وجفاء الآلات والاحجار مما يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تُغني عن الاطالة في الصفة »

وقد مرَّ انَّ البرابي هي لهياكل القديمة واحدها بربه وهي مشتقَّة من اللفظة القبطيَّة Ⲡⲉⲣⲡⲉ (Perpé) ومعناها العبد واهل الصعيد لا يزالون حتَّى الآن يستعملون هذه الكلمة وانما يريدون بها الامكنة الشهيرة بآثارها القديمة

وهياكل هذا العهد مع امتداد فسحته كلُّها على شكلين شكل عرضيّ وهو الهيكل المستدير الرواق (temple périptère) وشكل اصلي وهو الهيكل ذات المدخل الفخم المبرَّج (temple avec pylône)

أ (الهياكل المستديرة الاروقة) هذه الهياكل على شكل مربَّع مستطيل حولها اروقة فسيحة تتركَّب زواياها من اربع سواري اما جوانبها فتستند الى عمد. وما بين الاعمدة من الفضاء قد بُنيت فيه جدران للدلالة على حرم الهيكل. وفي جانبي الهيكل الصغيرين بابان يُدخل منهما الى المقدس حيث يعتقدون انَّ الاله جعل مسكنهُ في سفينته المقدَّسة

والسلالة الثامنة عشرة اوَّل من باشر بناء الهياكل على هذه الهيئة. الَّا انَّ هذه الهندسة لم تشع شيوعًا كبيرًا وقد قضاها الملوك البطالسة. والهياكل التي على هذه الصورة تُعرف بهياكل الميلاد. وكانوا يجعلونها في الغالب قريبًا من الهيكل الكبير كما ترى في دندرة وكوم امبو وفي جزيرة فيلة وكانت مخصَّصةً باله ثانوي هو عادةً ابن الاله المعبود في الهيكل الكبير. وفي جزيرة فيلة هيكل من هذا الصنف بُني على عهد الرومان ويُعدّ من ابدع حليّ هذه الجزيرة. على انَّ هذا الأثر الجميل معرَّض للخراب

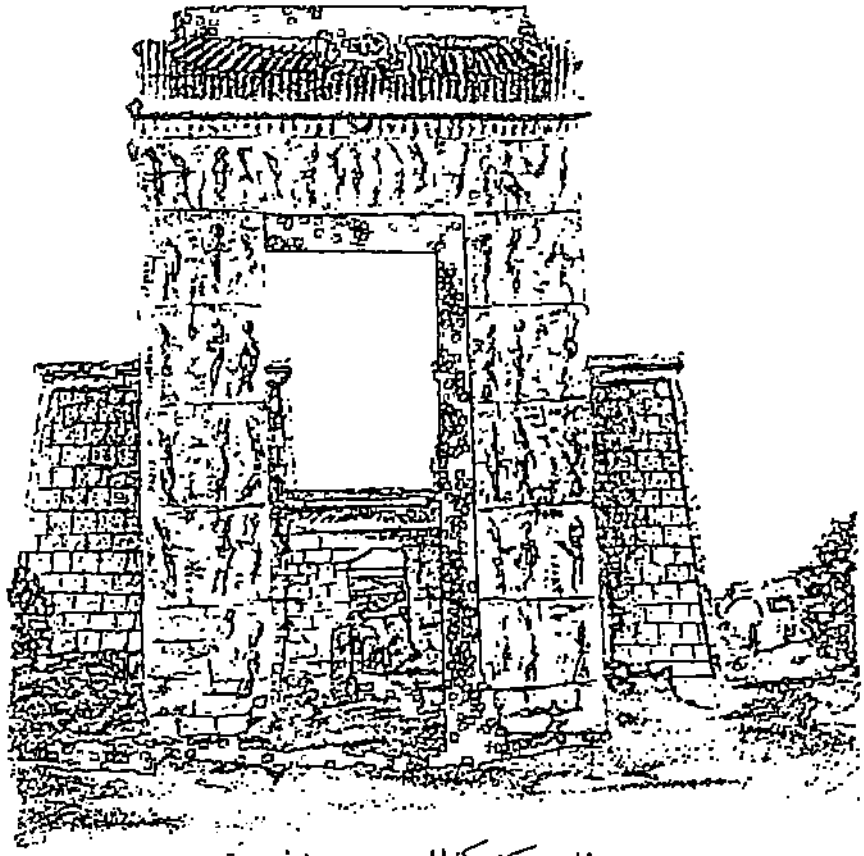

مدخل هيكل كنك من جهته الجنوبية

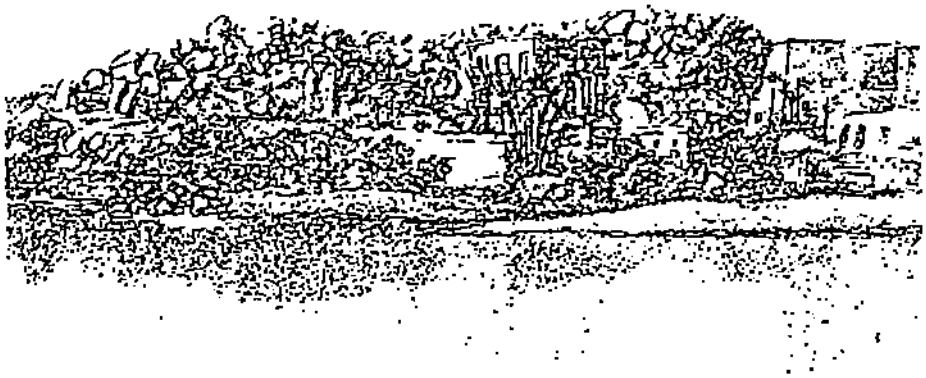

منظر جزيرة فيلة

منذ بناء خزّان اسوان لانّ مياه الفيضان صارت تغمر كل الجزيرة وهي عمّا قليل تدكّ اركان هذا الهيكل فتخربهُ بلا ريب

٢ (الهياكل ذات المدخل المبرّج) هذه الهياكل ذات الشكل الاصليّ وعددها وافرٌ . فرغبةً في الايضاح نميّز فيها اقسامها الجوهرية واقسامها الثانوية

فاقسامها الجوهرية ثلاثة : مدخلها مع ساحته ثم الردهة الكبرى ذات العواميد واخيرًا القدس . وذلك على شبه بعض بيوت بلاد الشام فانّ فيها ايضًا مدخلًا تليه جنينة او دار ثم بيتًا وفيه الديوان ثم المقاصير الخاصة في اقصى الديوان على جانبيه

فلندخلنّ احد هذه البرابي القديمة لنرى فيه هذه الابنية الثلاثة :

(المدخل) انّ لداخل الهياكل المصرية طريقًا تؤدّي اليها وتدلّ عليها . وهذه الطريق كانت تُفرش بالبلاط ويزان جانباها بتماثيل ابي الهول او الكبوش . وربّما كانت هذه الطريق تمتدّ على مسافة بعيدة . فان طريق هيكل كرنك من الاقصر تبلغ كيلومترين وكان عدد تماثيل ابي الهول التي تزينها نحو الالف

واذا سرت في هذه الطريق الملكيّة انتهت بك الى مدخل الهيكل وكان المهندسون يفرغون في بنائه ما لديهم من البراعة والتفنّن وبه امتازت الهندسة المصرية . وهذا المدخل يتركّب من رتاج عظيم مربع الشكل مستطيلة على جانبيه بناءان مُصمتان يرتفعان كبرجين وهما يعاونان مطلقًا بقيّة الابنية . ومدخل كرنك قياس علوّه ٤٤ مترًا وطوله ١١٣ م في سمك ١٥ م . وكانوا يرسمون على واجهة المدخل الكتابات والنقوش يضمّنونها محامد الفرعون الذي سمى ببناء الهيكل كمشروعاته وغزواته ويقيمون امام المدخل تمثالين عظيمين يمثلان الملك مع مسلّتين لكلّ جانب مسلّة وكلتاهما من حجر واحد

فاذا تجاوزنا هذا المدخل الفخم صرنا الى ساحة رحبة الارجاء مفتوحة فيها الاروقة ذات صفّ او صفين من الاعمدة . وهو المكان الذي فيه كان يزدحم الجمهور في اوقات المناسك الدينيّة الحافلة

(ردهة العواميد) اذا تخطّيتَ الدار ونفذت من باب آخر وصلتَ الى ردهة واسعة تُعرف بردهة العواميد (salle hypostyle) لكثرة ما يُرى فيها من العَمَد . وهي تقسم الى اسواق متعدّدة اعلاها واوسعها السوقُ الوسطى تسندها العواميد المتوّجة

بروزوس أكلّة على هيئة الاجراس. امّا الاسواق التي على الجانبين فانّ لروّوس عواميدها نقوشاً مكنسة كانّها اكمام الزهور

(المقدس) وما وراء هذه الردهة المقدس فيه معبد او معابد على حسب عدد المعبودات. وكلّ معبود مصوّر بصورة محسوسة يُرى في سفينة مقدّسة او في قبّة. وهذا المكان لا يدخلهُ سوى كبار رؤساء الكهنة والفراعنة في بعض الاعياد الحافلة

تلك هي الاقسام الجوهرية في الهياكل المصرية. امّا الابنية الثانوية فكانت تختلف على اختلاف الظروف والاحوال منها حُجَر عديدة وموافه تودع فيها آلات العبادة

وهذا الرسم كما ترى بسيطٌ الّا انّ اكثر الهياكل المصرية قد زاد فيها الفراعنة ابنيةً الحقوها بالهيكل الاصلي حتى فقدت سذاجتها الاوّلية. وكان كلّ فرعون اذا تسنّم كرسيّ الملك يريد ان يزيد على بناء سلفهِ فهذا يضيف اليهِ داراً ثانيةً وذاك ردهة أخرى بعواميدها ومنهم من كان يوسع المقدس ويزيد في طولهِ. مثالهُ هيكل ايدوس الذي ابتناهُ ساتي الاوّل فترى فيهِ دارين وردهتين باعمدتهما واربعة مداخل وكان يُعبد فيهِ سبعة معبودات لكلّ معبود مقدسهُ. وهو اليوم خراب لم يبقَ منهُ الّا بعض اقسامهِ فيها من التصاوير العجيبة ما يأخذ بمجامع قلوب الزوّار

واجمل ما بقي من الهياكل القديمة في مصر هيكل دندره تجاه قنه. كانت تُعبَد فيهِ الالهة هاتور. وفي سقف احدى حُجَره كانت منقوشة منطقة البروج الشهيرة وهي الصورة الوحيدة التي ابقاها لنا المصريّون من رسم السماء مستديرةً. وهذه المنطقة قد نُقلت من مكانها وهي اليوم في جملة متاحف مكتبة باريس العمومية

وان انتقلنا من دندره الى ثيبة وجدنا فيها برابي عظيمة بعضها على ضفّة النيل الشرقيّة وبعضها على ضفّتهِ الغربيّة. امّا هياكل الضفّة الشرقية فهي في الاقصر وكرنك

وكان هيكل الأقصر مخصوصاً بعبادة الاله امون والالهة موت وابنها خنسو وشُيّد على ايّام السلالة الثالثة عشرة ثمّ زاد الملوك التابعون في تحسينهِ وكان يُدخل اليهِ باربعة مداخل فخيمة ولهُ داران وكان طولهُ ١٩٠ متراً ومعظم عرضهِ ٥٥ م ومدخلهُ الاوّل من بناء رعمسيس الثاني عليهِ كتابات هيروغليفيّة عظيمة الشأن قد وصف فيها الفرعون حروبهُ في جهات سوريّة وانتصاراتهِ على الحثّيين. وتصاوير هذا الاثر كلّها جليلة

رُسمت فيها كلّ احوال الحياة الجندية من ضَرب الخيام في المعسكرات والهجوم على العدوّ وقتال الجيوش وكسرة العدوّ على طرز يخلب الالباب. واشهر ما فيها وصف شعري لموقعة قدس قريباً من حمص حيث تبدّد شمل الحثيين وفُتحت حاضرتهم. وهذه القطعة تُعرَف عند الاثريين المصريين بقصيدة بنتاور

اما كرنك فكأنها هياكل بحيث يصح فيها اسمها « مدينة الهياكل » وحتى يومنا هذا اذا عددتَ هياكلها الكبيرة والصغيرة وجدتها لا تقلّ عن الخمسة عشر لكنّ اعظمها خطرًا انما هو هيكلها العظيم المنسوب الى الاله آمون. وكان الذين باشروا في بنائه فراعنة السلالة الثانية عشرة ثمّ عني خلفاؤهم بتعظيمه وزينته الى اواخر عهد البطالسة حتى انّ مداخله الجبّارية بلغت عشرة عدًا وكانت تشتمل على الباحات الفسيحة والمخادع البهيّة. اما طرفة هذا الهيكل بل تحفة كلّ الآثار المصرية انما هي ردهتهُ العمودية الكبرى التي كان طولها ١٠٢ م في عرض ٥١ م اعني نيفًا و ٥٠٠٠ متر مربّع. وكان عدد عواميدها ١٣٤ وكانها عظيمة الشكل عالية تمتد سقفًا علوّهُ الاعلى ٢٣ مترًا. واكبر هذه العمد قطرها ٣ امتار و ٥٧ س اما دائرتها فازيد من عشرة امتار. قال بعض علماء العاديّات المصرية: « لو اردنا وصف هذا المقام الجليل لقلنا انهُ منتدى آلهة او جبابرة ليس ناديًا لبشر صغار مثلنا ». وهذه الردهة باقيةٌ حتى يومنا هذا الاّ انّ صروف الدهر قد عملت فيها وقد سقط منها عدّة اعمدة بعد ان نفذت في اساسها مياه النيل واثّر فيها النطرون. وفي سنة ١٨٩٩ في ٣ تشرين الاوّل سقط احد عشر عمودًا منها فتزعزعت سائر العواميد بسقوطها. الاّ انّ همّة المسيو لغران (M. Legrain) ناظر العاديّات في كرنك تلافت هذا الضرر واصلحت ما خرب من الاعمدة

وفي الضفّة الغربيّة هياكل اخرى عجيبة اخصُّها اربعة: اوّلها هيكل سيتي الاوّل في قُرنه قد استولى الخراب على قسم منهُ. والثاني هيكل دير البحري تراهُ فوق ربوة من الصخور على ثلاث طبقات يعلو احدها الآخر. ومقدس هذا الهيكل منحوت كلّهُ في الصخر. والثالث هيكل رعمسيس الثاني (Ramesseum) كُرّر على جدرانهِ وصف موقعة قدس كما في مدخل الاقصر. اما الرابع والاخير فهو هيكل مدينة هبو الذي شيّده رعمسيس الثالث وهو ذو مدخلين ودارَين

واذا سرت بين ثنية واسوان وجدت في سيالك برابي منها هيكل اسنه حيث تُرى آخر كتابة كُتبت بالحرف الهيروغليفي وذلك على عهد دقيوس قيصر سنة ٢٥٠ ميلادية وفيها اسمهُ . ثمَّ هيكل الكبش امينوفيس الثالث . ثمَّ هيكل ادفو كان المصريون يعبدون فيه الاله هورس وهو مع طول عهده منذ ٢٠٠٠ سنة لا يزال محفوظاً برونقه وحسنه . ومنها اخيراً هيكل كوم امبو للاهتين سوبك وهرويري كان المصريون يؤدّون لها فرائض السجود والعبادة على سواء ولكلٍّ منهما معبدهُ الخاص . ومما خُصَّ به هذا الهيكل دون بقيَّة الهياكل المصرية انهُ تُرى مقسوماً على كلّ طوله الى قسمين ولكلّ قسم بابهُ الخاص به

وان سرت الى ما وراء اسوان انتهى بك السير الى درَّة مصر المكنونة ألا وهي فيلة التي يدعوها الاهلون جزيرة البرديه وكانت الآلهة ايزيس معبودة اهل تلك الجزيرة شاعت عبادتها بينهم منذ القرون الغابرة ولم يزالوا عليها الى الجيل السادس بعد المسيح . وحينئذٍ امكن يستنيانوس الملك (٥٢٧ الى ٥٦٥ م) لاوَّل مرَّة ان يُقفل هذا الهيكل ويدخل النصرانيَّة في الجزيرة . وكان هيكلها رواقٌ كبير فحُوِّل الى كنيسة

وفي جزيرة فيلة هياكل أُخرى معدَّدة كلُّها راقيةٌ الى ملك البطالسة واعظمها شأناً مخصَّص بالالهة ايزيس

واعلم انَّ جزيرة فيلة كانت تُعَدُّ غالباً كحدّ مصر الجنوبي وعلى ذلك يدلُّ اسمها القبطي ⲫⲓⲗⲁⲕⲏ اي الزاوية . الاَّ انَّ فراعنة مصر الكبار كتحوتمس ورعمسيس لم يرضوا بهذا الحدّ فتجاوزوهُ مراراً وفتحوا البلاد التي ما وراءهُ الى بلاد النوبة العليا . والدليل على ذلك البرابي التي تُرى متواصلةً من اسوان الى وادي حلفه . لكنَّهُ قضى على المهندسين ان يغيّروا رسومهم ويبنوا الهياكل في الصخور الصلبة التي تجاور هناك النهر فكانوا ينحتونها كلَّها او قسماً منها في الصخر الاصمّ

فمن ذلك جُوف حُسين فيهِ هيكل قديم بُني مدخلهُ وداره في الخارج اما ردهاتهُ العموديَّة ومقدسهُ ففي نحيت الصخر . وفي ابي سنبله هيكل كلُّهُ كهفٌ منحوت في الصخر حتَّى مدخلهُ والتماثيل التي في مقدَّمة المدخل وهي اربعة غاية في العظم والحسن وجميعها يمثل رعمسيس الثاني جالساً وهو يتَّكئ على الصخر وعلوّ التمثال عشرون متراً وعلى جنبي الشخص وبين اذياله تصاوير عديدة تمثل اهل بيته . وفوق هذه التماثيل قد رُسمت في

القرون التالية كتابات يونانية وكارية وفينيقية كتبها اهل الغزوات الذين بلغوا ذلك المكان فارادوا ان يخلدوا ذكرهم بكتابتها وهي لذلك خطيرة اثيرة مفيدة لدرس اللغة والتاريخ معاً

هذا نظر اجمالي في هياكل مصر القديمة اثبتناهُ هنا ليكون لقرائنا بعض الالمام في آثار تلك البلاد الشهيرة وليست غايتنا من كتابته استيفاء الوصف. وما لا يسعنا الضرب عنهُ الشكر لاصحاب الامر الذين يسعون سعياً عظيماً في صيانة هذه المآثر النفيسة التي تنطق بلسان حالها عن ترقي تلك الامم الغابرة في سلّم الحضارة والتمدّن فضلاً عمّا تنبئ بهِ من شواعرهم الدينية. نعم انَّ هذا الدين كان ناقصاً كثير الخلل ممزوجاً بالخرافات الوثنية الاَّ انَّهُ مع خلله يظهر باجلى بيان انَّ الديانة عضد الشعوب وسندها. ويفند قول بعض المتشدقين من الملحدين بان التمدّن والحضارة اذا زاد نورهما ينفيان الدين ويبطلان ملكهُ. والعوذ بالله من الكفر وآله

دواء قديم او الحامض النمليّ

للدكتور ب. كيث مدرّس الصيدلة في المكتب الطبيّ الفرنسويّ

خُصَّ الاطبّاء الاقدمون بسجيَّة طبّية وهي طول أناتهم وتأنّيهم في البحث عن الادوية الشافية قبل استعمالها وما ذلك الاَّ لانَّهم كانوا خالين البال لم تزاحمهم الاشغال كأطبّاء زماننا. فمن اعظم البلايا انَّ الطبيب اليوم لكثرة الاختراعات الجديدة ووفرة الادوية المستحدثة وتمدّد المجلّات الطبيَّة التي تُطرى كلّ اصناف المعالجات والعقاقير والاستحضارات الكيموية لا يعود يعرف ايّاً منها يختار وايّاً ينبذ وربَّما خُدع بالاعلانات المطنطنة والادوية الغريبة المثال فيصفها لمريضهِ راجياً علاجهُ لكنهُ لا يلبث ان يرى قلّة فائدة الدواء الممدوح ويخيب فيهِ أملهُ فيتركهُ ويطلب دواء أجدَّ منهُ وأنجع. وهكذا بالتوالي دون ان يقرَّ على رأي ثابت. فياليت شعري كم من دواء ينشأ كل يوم فكسد سوقهُ بعد ان اطنب مخترعوهُ في مدحهِ ترويجاً لبضاعتهم. ومن الاضرار الناتجة عن هذه الجلبة والمبالغة في الاطراء انَّ عدَّة ادويةٍ قديمة العهد حسنة الفعل تُنبَذ ظهريّاً وتسقط في عالم النسيان مع ما ادَّتهُ للانسانية من الخدم المشكورة